

التأويل في مختلف المذاهب والآراء

والسؤال: كيف هذه الحيلولة، وما وجه كونها عقوبة لمن نبذ أحكام الشريعة؟ وللإجابة على هذا السؤال وقع اختلاف عنيف بين أهل الجبر وأصحاب القول بالاختيار، كما تناوشها كل من الأشاعرة وأهل الاعتزال، كلٌّ يجرُّ النار إلى قرصه، كما اختلف أرباب التفسير على وجوه أوردناها في الجزء الثالث من التمهيد، عند الكلام عن المتشابهات، ضمن آيات الهداية والضلال برقم (80). والذي رجحناه في تأويل الآية، هو معنى غير ما ذكره جلّ المفسرين، استفدناه من مواضع من القرآن نفسه: إنَّ هذه الحيلولة كناية عن إماتة القلب، فلا يعي شيئاً بعد فقد الحياة. لا تُعْجِزَنَّ الْجَهْلُوكَ حُلَاَّتُهُ *** فذاك مَيِّتٌ وَثَوْبُهُ الْكَفَّانُ الإسلام دعوة إلى الحياة، وفي رفضها رفض للحياة، تلك الحياة المنبعثة عن إدراكات نبيلة، والملهمة للإنسان شعوراً فيضاً يسعد به في الحياة، ويحظى بكرامته الإنسانية العليا. أمّا إذا عاكس فطرته، وأطاح بحظّه، فإنّه سوف يشقى في الحياة، ولم يزل يتخبّط في ظلمات غيّه وجهله (الَّذِينَ آمَنُوا يَخْرَجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ الظُّلُمَاتِ) [284]. فالإنسان التائه في ظلمات غيّه قد فقد شعوره، وافتقد كرامته العليا في الحياة، فهذا قد نسي نفسه وذُهل عن كونه إنساناً، يحسب من نفسه موجوداً ذا حياة بهيمية سفلى، إنّما يسعى وراء نهمه وشبع بطنه، لا هدف له في الحياة سواه. وهذا التسافل في الحياة كانت نتيجة تساهله بشأن نفسه وإهمال جانب كرامته، وهذا هو معنى قوله تعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمَّ يُؤْمِنُوا بِهِ)